الأدب الفارسي في العصر التيموري عبد الرحمن الجامي أنموذجا

Persian literature in the Timurid era the example of Abd al-Rahman Al-Jami

د. العربي بوبكر*

تاريخ الإرسال: 2022/02/28	تاريخ القبول: 2022/11/10	تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

يتطرق المقال إلى بعض مظاهر الحياة الفكرية في عصر التيموريين، السلالة المغولية التي حكمت بلاد ما وراء النهر، وبلاد فارس في الفترة الممتدة بين 771هـ،911هـ/1370م، 1506م، وسنركّز خاصة على الفترة الأخيرة التي حكم فيها آخر التيموريين السلطان حسين بايقرا، حيث نشطت الحياة الفكرية والأدبية. يستعرض المقال جانبا من الحياة الفكرية في تلك الفترة، من خلال دراسة شخصية الشاعر والأديب نور الدين عبد الرحمان الجامي، من حيث التعريف بإنتاجه الأدبي والفكري، ودور السلاطين التيموريين في رعاية العلم والاهتمام بمختلف الفنون، وكيف استطاع الأدب الفارسي خاصة أن يزدهر في تلك الفترة إضافة إلى ازدهار الأدب العربي بحكم الصلة الوثيقة التي تجمع بينهما.

الكلمات المفتاحية: الجامي، حسين بايقرا، المثنويات، النقشبندية، بلاد ما وراء النهر.

Abstract:

The article deals with certain aspects of intellectual life at the time of the Timurids, the Mongol dynasty which reigned over Transoxiana and Persia between 771 AH, 911 AH/1370 and 1506. We will focus in particular on the recent period in which the last Timurids, Sultan Hussein Baigra, ruled, during which intellectual and literary life was active. The article reviews an aspect of the intellectual life of this period, studying the personality of the poet and writer Noureddine Abd al-Rahman Al-Jami, in terms of defining his literary and intellectual production, the role of the Timurid sultans in the development of science and interest in various arts,

* كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية
laarbiboub@gmail.com

and how Persian literature, in particular, was able to flourish at this time, in addition to the flourishing of Arabic literature by virtue of the close bond between them.

Keywords: Al-Jami, Husayn Bayqara, dualism, Naqshbandiyah, Transoxiana.

*** *** ***

المؤلف المرسل: العربي بوبكر com.laarbiboub@gmail

1- مقدمة:

ارتبطت الحضارة الإسلامية بالفكر والعلم عبر كل فترات تاريخها، وكلما كانت قريبة منهما كان دورها مؤثرا وقويا في الحياة الإنسانية. وقد كان عصر التيموريين واحدا من تلك العصور الزاخرة بحركة الفكر والعلم والأدب، رغم ما رافق ذلك من حروب ودمار، إلاّ أنّ رعاية العلم وأهله ظلّت قائمة. وفي هذا المقال نسلّط الضوء على جوانب من تلك المرحلة خاصة المرحلة الأخيرة من حياة التيموريين التي ارتبطت بالسلطان حسين بايقرا، حيث عرف عهده ازدهار مختلف جوانب الإبداع، فظهر الرّسام بهزاد، والمؤرّخان مير خواند وحفيده خواند مير، وزير التيموريين علي شير نوائي والأديب الشاعر عبد الرحمان الجامى. يهدف المقال إلى التعريف بهذا الشاعر من خلال استعراض مؤلّفاته النثرية والشعرية، وعلاقته بالسلطان التيموري حسين بايقرا ووزيره علي شير نوائي.

2- الحياة الفكرية في العصر التيموري:

بلغت الحضارة الإسلامية في مراحل من تاريخها درجة كبيرة من الازدهار والتطوّر خاصّة في مجال الأدب والفكر والحضارة. والأمثلة كثيرة في ذلك، إلاّ أنّ الكلّ يشيد بذلك التطور الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية في العصر العباسي الآول[1]، والأمر نفسه بالنسبة إلى العهد الأموي في الأندلس بعد أن أسّس عبد الرحمان الداخل دولته هناك[2]. وإذا كان الحال كذلك بالنسبة لهذه الفترات التاريخية، فإنّ عصر التيموريين[3]

يعتبر هو الآخر واحدا من أهم عصور الحضارة الإسلامية، ويعود ذلك بشكل عام إلى مختلف الإنجازات التي تحققت ومنها على وجه الخصوص الرعاية التي أولاها التيموريون لمختلف العلوم والفنون. وإذا كان تيمورلنك مؤسّس الدولة لا يعرف القراءة والكتابة كما تشير إلى ذلك مختلف المصادر التاريخية العربية والفارسية، إلاّ أنّه ظلّ مهتمّا بالعلم والعلماء، كثير الرعاية لهم، حريصا على لقائهم ومناقشتهم في مختلف المسائل الدينية والتار يخية، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك من خلال اللقاء الذي جمعه مع تيمور لنك خلال سقوط دمشق[4]، وقد أعجب ابن خلدون بالقدرة الكبيرة التي أبداها تيمور لنك في عرض ومناقشة مختلف القضايا.

وعلى الرغم من أنّ عهد التيموريين كان عهد حروب ودمار، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من تطوّر الحياة الفكرية والأدبية والعلمية. تشير المصادر التاريخية إلى رعاية التيموريين للعلم والعلماء بشكل وصل فيه هؤلاء إلى مكانة كبيرة في البلاط التيموري، حتى إنّ بعض الوزراء التيموريين ظلّوا حريصين على خدمة العلم وأهله. وهنا تسجّل المصادر التاريخية الرعاية الكبيرة التي أولاها الوزارء التيموريون لكل فنون المعرفة، وكان أكثرهم الوزير علي شير نوائي[5]، وزير السلطان حسين بايقرا الذي خدم العلم وأهله إلى غاية وفاته. وكان هذا الوزير من أبرز مفكري وعلماء عصره، جمع بين كثير من المعارف والفنون، فكان راعيا للفن ورجاله، شاعرا وموسيقيا متميّزا ينتسب إلى عائلة باخشي إحدى قبائل الإيغور الذين رحلوا إلى هراة بعد الغزو المغولي[6]. وقد اتّسمت هذه الفترة بازدهار مظاهر الحياة الفكرية والأدبية، وكان أبرزها ظهور الأديب الشاعر عبد الرحمن نور الدّين الجامي الّذي عدّته المصادر التاريخية من أهمّ أدباء تلك الفترة.

3- الجامي: مولده وتعليمه:

ولد نور الدين عبد الرحمن الجامي في 23 شعبان 817هـ، في قرية خركرد بولاية جام[7] في إقليم خراسان، هاجر رفقة والده إلى ولاية جام. اشتغل أبوه بالقضاء والفتوى. تعلّم في طفولته المبادئ الأولى للّغة العربية، وقواعدها الأساسية من نحو وصرف. حفظ القرآن الكريم، كما تزود بمختلف العلوم، وبعد فترة من إقامته في مدينة جام انتقل إلى عاصمة التيموريين الثانية مدينة هراة[8]، الّتي نالت شهرة كبيرة في فترة حكم السلطان

التيموري شاهرخ الّذي كان ذا علم وثقافة و ورع حتى صارت هراة في عهده وعهد خلفائه المركز الثقافي الأوّل في آسيا الوسطى[9].

تنقّل الجامي بين مدن إقليم خراسان، وزار حاضرة تيمورلنك مدينة سمرقند التي لم يمكث بها طويلا. وقد كان لرحلاته المتعدّدة دور كبير في تنمية مداركه ومعارفه، خاصة أنّه تنقّل بين مدن كان لها دور كبير في الإشعاع الحضاري للعالم الإسلامي، وبذلك جمع إرثا كبيرا من المعارف العقلية والنقلية، وكانت رعاية السلطان شاهرخ للعلم والعلماء سببا في تطوّر معارفه وطموحه.

جمع الجامي بين مواهب عديدة، كالسرعة في الحفظ، والقدرة على الاستيعاب، والذكاء المتّقد، والتركيز الشديد، وهي مواهب شهد له بها معاصروه من طلاّب وأساتذة، وقد تحدّث هو نفسه -في كثير من الأحيان- بعبارات توحي بأنّه كان يفوق أساتذته في الفهم، والحفظ، والعلم، كقوله مثلا: "ما كانت مدّة دراستي عند أساتذتي طويلة، بحيث إنّهم ما غلبوا عليّ في الدرس، وكنّا في المستوى الواحد في العلم، ولكن غلبت عليهم، وليس لهم في ذمّتي حق، سوى بوصفهم أساتذتي"[10]. وإن كان هذا الكلام يدلّ على تفوّقه وعبقريته إلاّ أنّه من جهة أخرى يدلّ على مدى احترامه لأساتذته، وهو ثناء عبّر عنه رجال عصره من الكتّاب والشعراء والأمراء.

كان الجامي ميّالا إلى الحياة البسيطة، متّبعا تعاليم الطريقة النقشبندية[11]، وهي إحدى الطرق الصوفية المشهورة ببلاد ما وراء النهر، نسبة إلى مؤسّسها محمد بهاء الدّين نقشبند. وقد كان الأمراء التيموريون يميلون إليها، ويقرّبون رجالها ومنهم تيمورلنك، حيث جمعت بينه وبين أصحاب هذه الطريقة مودّة كبيرة، خاصة بعد الرّعاية التي حظي بها من أحد شيوخها في هراة، وهو سعد الدّين الكاشغري، ونتج عن ذلك أن تزوّج الجامي إحدى بناته، وكان ثمرة هذا الزواج أن أنجب الجامي أربعة أبناء، ماتوا جميعا في حياته إلا ابنه ضياء الدّين يوسف[12].

توفّي الابن الأوّل في يومه حتّى إنّه لم يسمّ، أمّا الثاني، وهو صفيّ الدّين فقد توفّي وعمره سنة. وأمّا الثالث ظهير الدّين فلم يعش إلاّ أربعين يوما، لذلك ارتبطت كل عواطفه بابنه الوحيد ضياء الدّين يوسف. ويبدو أنّ هذه الحالة النفسية كان لها الأثر

الكبير في حياته عموما، وأدبه وشعره على وجه الخصوص، ولذلك ظلّ شعره مزيجا من النزعة الصوفية الزاهدة في الحياة، تغطّيها مسحة من الحزن، تظهر بين الحين والآخر في أبرز ما كتبه.

برع الجامي في كثير من ميادين المعرفة، إلاّ أنّ تفوّقه الأدبي كان الأبرز، وظلّ الشّعر السّمة الغالبة على معظم مؤلّفاته، فكان شعره زاخرا بالألفاظ البديعة واللطيفة ذات الدلالات العميقة المتشبّعة بالحكمة، الغنية بمعاني الزهد والورع، حتّ عدّه الإيرانيون خاتم الشعراء[13]،وإن كان بعض النقاد قد اعترضوا على هذه التسمية[14].

4-مؤلفات الجامي:

تعدّدت المجالات التي كتب فيها الجامي، بين الشعر والنثر والفكر والفلسفة، إلاّ أنّه نال الشهرة من خلال مؤلّفاته الشعرية والأدبية الّتي ظلّت أكثر الآثار تداولا بين الدّارسين، خاصة في ميدان الشعر الذي حوى كثيرا من الآراء الصّوفية لكبار المتصوفة الذين سبقوه، خاصّة في بلاد فارس، وبلاد ما وراء النهر على العموم.

4-1 الكتابات الشعرية:

يعتبر ما كتبه الجامي في مجال الشعر امتدادا للنمط الشعري الّذي نهجه كثير من الشعراء الفرس، وقد ترك مجموعة من الدّواوين الشعرية، كان الأوّل سنة 884هـ، وسمّاه "فاتحة الشباب" تحدّث فيه عن طفولته وشبابه، ويظهر ذلك واضحا من خلال عنوانه. وكان الثاني عام 894هـ، وسمّاه "واسطة العقد" تحدّث فيه عن كهولته وتجاربه في الحياة. أمّا الأخير فكان عنوانه "خاتمة الحياة"، أتمّه عام 899هـ وكلّها تزخر بمعاني الزهد والتصوّف اللّذين كانا فلسفته في الحياة.

أمّا "مثنويات" وهو ضرب من ضروب الشعر، فقد عُرف بشكل بارز عند الشعراء الفرس على وجه الخصوص، يكون فيه لكل بيت قافية، وبذلك تخلو المنظومة من القافية الموحّدة ومثال ذلك:

"في تلك الخلوة الّتي لم تكن بها على الوجود أمارة،

حيث كان العالم خبيئا في كنز غيبة الذات

كان الوجود المنزّه عن صورة الثنائية،

المتعالي عن قوله أنا وأنت

جمال مطلق من قيد المظاهر لا تتجلّى ذاته إلاّ لذاته

عروس رائعة الحسن في حجلة الغيب قد برئت ذاتها من شيمة العيب"[†]

وقد سار الجامي -في ذلك- على نهج كثير من الشعراء الفرس ومنهم: حافظ الشيرازي، والفردوسي، وجلال الدّين الرومي وغيرهم[15]. وكان أبرز ما أبدع سبع منظومات مثنوية أطلق عليها "هفت أرنك" أي المعارف السبع، وتعتبر سلسلة الذهب أوّلها، وتشمل ثلاثا ناقش من خلالها فكرة التصوّف، والزهد، والأخلاق. كما تطرّق فيها إلى كثير من الأفكار الفلسفية كالجبر والرضا، وبعض الموضوعات التربوية والتعليمية والحكمية.

أمّا في المجال القصصي ذي الطابع الصوفي فقد كتب الجامي في عدة مواضيع لم يكن بعضها جديدا من حيث المحتوى، ولكنّه جديد من حيث طبيعة العرض. ومن القصص الذائعة الصيت في التراث الإنساني، قصّة "سلمان وأبصال"، وهي قصة حب صوفي يصف فيها الجامي صراع النفس ضد الهوى وانتصارها عليه. ويرجع أصل القصة إلى التراث اليوناني حيث ترجمها إسحاق بن حنين في بداية القرن الثالث الهجري من اليونانية إلى اللغة العربية. كما كتب "تحفة الأحرار" وهو شعر تعليمي تربوي، جمع فيه بين الأسلوب القصصي والطابع الشعري، كتبها في مدح شيخ الطريقة النقشبندية عبيد الله أحرار[16]، أمّا منظومته "سبحة الأحرار" فهي مثنوية مشابهة لسابقتها في المبنى والمعنى كتبها الجامي في مدح السلطان التيموري حسين بايقرا.

وفي مجال "آثار العشق والغرام" الّتي تعتبر من أكثر ما كُتب في اللّغة الفارسية، فقد كتب الجامي "ليلى والمجنون" وهي ملحمة غرامية شهيرة في التراث العربي، ومنه انتقلت إلى التراث الفارسي حيث ضمّنها مختلف المشاعر والأحاسيس.

[†] محمد غنيمي هلال، مختارات من الشعر الفارسي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 289.

أمّا أشهر ما كتب الجامي -حسب ما تذكر مجمل المصادر التاريخية- المنظومة القصصية "يوسف وزليخة" القصة الملحمية المستمدة من القرآن الكريم، وقد تُداول ذكرها في مختلف الكتابات التاريخية، كقراءة لسيرة سيّدنا يوسف عليه السلام، وعند عدد كبير من الشعراء والكتّاب. وقد كتب الجامي هذه المنظومة بأسلوب أدبي رفيع ولغة راقية، ضمّنها أكثر من أربعة ألاف بيت شعري قدّمها للسلطان حسن بايقرا[17]، وقد تمكّنتُ من الاطّلاع على بعض ما جاء فيها نظرا لما تمثّله القصة في تراث الحضارة الإسلامية. وإذا كان المجال لا يسمح بذكر كل ما جاء فيها، إلاّ أنّ ذلك لا يمنع من الإشارة إلى أنّ الأحلام شكّلت الجزء الأكبر في قصة الجامي، فمن حلم يوسف وهو صغير، وحلم زليخة الشابة المولعة بيوسف، إلى حلم صاحبي السجن، انتهاء بحلم عزيز مصر، فقد اعتمد الجامي في بناء منظومته القصصية على الأحلام وتأثير الرؤيا الصالحة الّتي كرّست رؤيا يوسف عليه السلام في نهاية الأمر. وقد بلغ الجامي قمة التصوير الفني في هذه القصة، من خلال وضع القارئ في جو مفعم بالروحانيات. وآخر ما كتب الجامي في "المعارف السبع" (خردنامه إسكندري) وهي عبارة عن مجموعة من المحاورات الفلسفية بين الإسكندر المقدوني وبعض علماء الإغريق. وبصفة عامّة فإنّ معظم مثنويات الجامي أخذت بعدا روحيا متشبّعا برؤية صوفية تعالج هوى النفس وتدفعها إلى الاستقامة.

2-4 الكتابات النثرية:

على الرغم من اهتمام الجامي بالشعر على وجه الخصوص إلاّ أنه أعطى الكتابة النثرية حيّزا معتبرا، وقد تعدّدت مؤلّفاته النثرية إلاّ أنّني سأذكر في هذا المقال بعضا منها، والعرض ليس من باب الدّراسة النقدية للمحتوى، لأنّ للميدان أهله، بقدر ما هو عرض تاريخي الهدف منه التعريف بالكاتب ومؤلّفاته. ومن بين أشهر المؤلّفات النثرية التي انتشرت بين الناس "كتاب نفحات الأنس في حضرات القدس"[18]، أخذ الكتاب طابعا موسوعيا، وهو على شكل كتب السير والتراجم، وهو نوع من الكتابة شاع كثيرا بين الفرس في العصر التيموري وقبله، وأخذ الجامي منهم. يتضمّن عموما سير رجال التصوف، حاول من خلاله أن يعطي صورة واضحة عن التصوّف وتاريخه ورجاله،

مستلهما ذلك كلّه ممّن سبقوه على طريقة فريد الدّين العطّار في تذكرة الأولياء[19]. يعتبر الكتاب أهمّ مؤلّفات الجامي، وهو يعكس الحالة الفكرية السائدة في تلك الفترة. وقد ظلّ الجامي يكتب متنقّلا بين فكر المعتزلة [20] حينا والأشاعرة[21] حينا آخر.

الكتاب النثري الثاني هو كتاب "بهارستان أو الربيع الّذي كتبه الجامي لوحيده ضياء الدّين يوسف سنة 892هـ، وهو من أنواع النثر السلس العذب، كُتب في ثماني روضات، في كل روضة أورد حكاية من حكايات أولياء الله وكبار الصوفية، وكبار الشعراء والسلاطين والملوك، وقد نهج الجامي في المبنى نفس الأساليب التي نهجها كبار الشعراء الفرس، ومنهم سعدي الشيرازي في كتابه "كلستان سعدي"[22]، ويُستنتج ذلك التأثير لدى الجامي حيث ظلّ يمتدح كلستان سعدي ويعترف بتقليده له، ويؤكّد ذلك في كتابه "بهارستان أو الربيع"، أنه كان يكتب بهارستان ويتبرّك بأنفاس سعدي[23].

أمّا الكتاب الأخير فهو كتاب "الدرة الفاخرة"، وهو عبارة عن رسالة في تحقيق مذهب الصوفية والمتكلّمين والحكماء، ضمّنها الجامي الكثير من الأفكار المرتبطة بالوجود والذات الإلهية، وهو مجال عادة ما يخوض فيه المتصوّفة بشكل يثير عند خصومهم ردود أفعال قوية نتيجة طبيعة الأفكار المطروحة.

الإشارة إلى هذه المؤلّفات دون غيرها ليس اختيارا بقدر ما هو ضرورة نتيجة تيسّر الاطّلاع عليها بحكم أن بعضا منها تُرجم إلى اللغة العربية، وصار في متناول عموم الناس، بينما تبقى مؤلّفات عدّة جديرة هي الأخرى بالعرض والمناقشة والتعريف بها حتى يتسنى للدّارسين الوقوف عليها لمعرفة التراث الفكري والأدبي في العصر التيموري.

اجتهد كثير من الباحثين والمؤرّخين في عدّ مؤلفات الجامي النثرية والشعرية، فأوصلها البعض إلى تسعة وتسعين مؤلّفا، والبعض الآخر إلى خمسة وأربعين مؤلّفا، أمّا تلميذ الجامي عبد الغفور اللاري فقد أوصلها إلى ثمانية وأربعين مؤلّفا، أما دار الكتب المصرية فقد أعدّت سنة 1384هـ/ 1969م فهرسا خاصّا بمؤلّفات الجامي التي اقتنتها الدار[24].

5- مواقف الجامي وبعض الآراء فيه:

عاصر الجامي دولا إسلامية متعدّدة وكان قريبا من الوزراء التركمانيين في العراق وأذربجان، كما ربطته علاقة قوية مع بعض السلاطين العثمانيين، كمحمد الفاتح، والسلطان بايزيد الثاني، إلاّ أنّه كان شديد الولاء للتيموريين كارها لأعدائهم، وكان وثيق الصّلة بالسلطان حسين بايقرا، و وزيره علي شير نوائي الذي كان له الفضل الأكبر في رواج سوق الفكر والأدب خلال القرن 9هـ/15م، حيث ظلّ الوزير يُنزل الجامي منزلة الصديق والشيخ، وظلّ بلاط السلطان حسين بايقرا يتوافد عليه كبار الفنانين والأدباء والمؤرّخين، ومنهم الرّسام بهزاد[25] والمؤرّخ ميرخواند وحفيده خواند مير إضافة إلى الأديب والشاعر الجامي[26].

اتّفقت جلّ المصادر التاريخية على عبقرية الجامي الأدبية والشعرية، وظلّ يحظى بالاحترام والتقدير عند كثير منهم، إلاّ أنّه -في الوقت نفسه- أثار جدلا واسعا فيما يخص عقيدته وانتماءه المذهبي، فمن الباحثين من عدّه صوفيا مخلصا، ومنهم من اعتبر أنّ ما كتبه الجامي هو أقرب إلى الكفر والزندقة، ومنهم من عدّه من كبار العلماء المسلمين، أمّا أشعاره فرأى فيها البعض تشيّعا واضحا[27]، في حين رأى آخرون أنّه كان سُنّيا ظلّ قريبا في شعره من عقيدة المتكلّمين الأشاعرة، وفقهاء الشافعية.

بين مدافع عن سُنية الجامي وحريص على تشيّعه، نجده يدافع عن نفسه من خلال مؤلّفاته، فهو يجمع بين إجلال الخلفاء الراشدين والصحابة، وفي الوقت نفسه لا يغفل عن ذكر فضائل الأئمة الاثني عشرية، وفي كتابه بهارستان أبدى استياءه من حالة العداء بين السنة والشيعة، ويقول في ذلك ما يفهم على انه يبرّئ نفسه من هذا الصراع ويجنّبها الانحياز إلى أيّ طرف قائلا: يسألونني ما مذهبك يا جامي، فأردّ وأقول الحمد لله ما أنا بكلب السنة أو حمار الشيعة[28].

ظلّ الجامي في البلاط التيموري محافظا على مكانته بين العامّة والخاصّة، وبشكل خاص عند السلطان التيموري حسين بايقرا الذي كان ذوّاقا للشعر وفنونه، محبّا للأدب ورجاله، لذلك ارتبط بالجامي بروابط معنوية قوية أنزلت الجامي منزلة العظماء في البلاط التيموري، حتى إنّ السلطان صار يقبل شفاعة الجامي في الوزراء

والأمراء[29]. وقد أصيب السلطان بحزن شديد عند وفاة الجامي، نظرا لما مثّله من قيمة معنوية وفكرية وأدبية وسياسية في البلاط التيموري.

ساهمت كتابات الجامي في دفع كثير من المستشرقين للاهتمام بمؤلّفاته الأدبية والشعرية وترجمتها إلى مختلف اللغات، فقد ترجم وينفيلد كتاب "لوائح الحق ولوامع العشق" إلى اللغة الإنجليزية، كما ترجم روجرز كتاب "يوسف وزليخة"، في حين ترجم هارتمان كتاب "ليلى والمجنون"، وغير ذلك من الكتب التي تُرجمت من التراث الفارسي إلى مختلف اللغات الأوربية.

يمكن القول إنّ تنوّع مدارك الجامي وقوة تأثيره، وتعدّد معارفه الفكرية واللغوية، خاصّة إتقانه اللّغتين الفارسية والعربية، هو الّذي جعل كتاباته تتّسم بالعمق وسعة الخيال، وقوة التأثير. أعطى فيها فسحة لكلّ ما يرتبط بالجمال بوحي صوفي خالص ومميّز غلب على معظم شعره وكتاباته النثرية المتنوّعة. أمّا هو فيقول عن نفسه عبارة تستحق الوقوف والتأمّل حيث يقول: كم هو سعيد عابر السبيل ذلك الذي أتاح له قدره، أن يجلس على ضفة جدولي، ويحدّق في مياهه الرائقة ليغسل الغبار عن قلبه المذهول[30].

لم يكن الجامي من زهاد التكايا والخوانق الّذين عادة ما كانوا يعتكفون فيها ليمارسوا حياة الزهد مبتعدين عن الناس دون معرفة همومهم وانشغالاتهم، لكنّ الجامي ابتعد عن هذا الأسلوب محاولا أن يمارس تصوّفه وزهده وسط الناس، يعيش همومهم ومشاكلهم، وهو بذلك ينفرد عن غيره من روّاد عصره.

6- خاتمة:

ارتكزت الحضارة الإسلامية في العصر التيموري بشكل خاص على ما خلّفته الحضارة الإسلامية في مراحلها السابقة خاصة إرث السلاجقة بوصفهم يتقاطعون في الأصول العرقية والوجود الجغرافي، إضافة إلى دورهم العلمي والفكري في الحضارة الإسلامية، ورغم ذلك فإنّ التراث الفارسي ظلّ قويا ومؤثّرا في الفكر والثقافة، وإليه استند التيموريون، وإذا قلنا إنّها اعتمدت على التراث الفارسي، فهي دون شك نهلت من

التراث العربي بحكم الصلة الوثيقة بين الأدب الفارسي والأدب العربي، خاصة أنّ عبد الرحمن الجامي ما هو إلاّ حالة امتداد لهذا التطوّر، بعد أن مزج بين الثقافتين العربية والفارسية في روح إسلامية خالصة، في كنف التيموريين الّذين عملوا على رعاية الفكر والعلم وأهله، وفي هذا الفضاء اللاّمتناهي تفتّقت عبقرية الجامي، فجاءت هذه المؤلّفات الشعرية والنثرية لتعكس حالة من حالات التطور والازدهار في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد حاول المقال في عمومه أن يمزج بين عبق التاريخ وفنون الأدب.

*** *** ***

7. الهوامش:

1- العصر العباسي الأوّل 132هـ،232هـ، من أهمّ عصور الحضارة الإسلامية، وذلك لأنّه عرف ازدهارا وتطوّرا.

2- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط5، 1421هـ، 2000م، ص 299 وما بعدها.

3- سلالة مغولية حكمت بلاد ما وراء النهر والعالم الإسلامي في الفترة الزمنية الممتدة بين (771هـ،911هـ/1369م،1512م) وتُنسب إلى مؤسّسها تيمور الذي اشتهر في التاريخ بتيمورلنك، وقد اتّخذ من مدينة سمرقند عاصمة ملكه. اهتمّ بالعلم والعلماء، وبناء مختلف العمائر الدينية من مساجد ومدارس، وقد سار كثير من أبنائه من بعده -خاصة ابنه شاهرخ في مدينة هراة، وحفيده ألغ بك في سمرقند- على نهجه. وقد ازدهر الأدب والشعر في عصر التيموريين على نطاق واسع خاصة في عهد آخر سلاطينهم وهو السلطان حسين بايقرا الذي حكم في الفترة (873هـ-911هـ/1468م-1504م) وكان مهتمّا بالأدب والشعر والفكر، وفي عصره عاش الشاعر نور الدين الجامي الذي ظلّ مقرّبا منه، وأنزله منزلة عظيمة.

4- محمد سليمان الراجحي، لقاءات تيمورلنك ومجادلاته مع العلماء في بلاد الشام، مجلة الدرعية، عدد 36، السنة التاسعة،1427هـ،2007م، ص238.

5- أشهر الوزراء التيموريين، جمع بين صفة الوزير والمثقف، وقد أشار إلى ذلك كثير من المؤرّخين منهم خواند مير في كتابه "دستور الوزراء"، حيث ذكره بكل عبارات الود والمدح والثناء. كتب علي شير نوائي العديد من المؤلّفات في النثر والشعر، ولعلّ أهمّها في الشعر: "كتاب خمسة"، أو "أتلكنوز الخمسة"، وهو عبارة عن خمس قصائد شعرية. أمّا في النثر، فأشهر ما كتب كتاب موسوعي سماه "كتاب النفائس"، وهو من بين أهمّ الكتب في التاريخ الإسلامي عامّة، وتاريخ التيموريين خاصة، كُتب باللغة التركية الجغطائية، أتمّه عام 869هـ، 1464م، ويُلاحظ أنّ الكتاب أوّل من روّج للثقافة واللغة التركية بين شعوب إقليم تركستان الّذي ظلّ لوقت طويل تحت تأثير اللغة والثقافة الفارسية.

6- بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص139.

[7]-علي كنيخان خناري، فاطمة نصر اللهي، وقفة نقدية مع إنتاجات الشاعر الإيراني الجامي، إضاءات نقدية، السنة الأولى، ع2، 2012، ص 96.

8-هَراة بفتح أوّله وضمّ آخره، مدينة عريقة كبيرة تقع غرب أفغانستان الحالية، تبعد عن العاصمة كابول بـ 600كلم.

9- دونالد ولبر، إيران ماضيها وحاضرها، تر:عبد النعيم محمد حسنين،ط2،دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان،1405هـ، ص 36.

10- علي كنيخان، فاطمة نصر اللهي، مقال سابق، ص96.

11-بديعة محمد عبد العال، النقشبندية نشأتها وتطورها في بلاد الترك، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة،2009م، ص11، وما بعدها.

12-علي كنيخان خناري، فاطمة نصر اللهي، مقال سابق، ص 97.

13- إدوارد جرانفيل براون، تاريخ الأدب الفارسي من السعدي إلى الفردوسي، تر: إبراهيم أمين الشورابي، ط2، مكتبة الثقافة الدينية،1428هـ،2007م، ص651.

14- اعترض بعض النقاد على هذه التسمية بأنّ الجامي هو آخر الشعراء أو خاتم الشعراء في الشعر الفارسي، ولعلّ الأصحّ في نظرهم أن تستعمل هذه العبارة لحافظ الشيرازي، ففي اعتقادهم أنّه لم يظهر أي شاعر بعده بمستواه أو بمستوى أقرانه مثل الفردوسي أو السعدي وجلال الدين الرومي. للمزيد ينظر: محمد رضا شفيعي، منذ عهد الجامي حتى يومنا هذا، تر: بسام ربابعة، مجلة عالم المعرفة، ع 386، 1430هـ/2009م، ص22.

15- إدوارد جرانفيل بروان، تاريخ الأدب الفارسي من الفردوسي إلى السعدي، ص 642 وما بعدها.

16-أحد أبرز رجال الطريقة النقشبندية في بلاد ما وراء النهر، عالم متصوّف زاهد، كان الجامي من بين مقرّبيه، له بعض المؤلّفات منها: تحفة الأحرار، وكتاب الأخلاق والدين، وهو كتاب يُقرأ على نطاق واسع في بلاد ما وراء النهر. توفي بكيران سنة 895هـ/ 1489م. ينظر: آرمينيوس فامبرين، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، تر: أحمد محمود الساداتي، مر: يحي الخشاب، د.ط، مكتبة نهضة الشرق، د.ت، ص 290.

17- نور الدين عبد الرحمان الجامي، يوسف وزوليخا رؤية صوفية، تر: عائشة عفة زكريا، دار المنهل، 2003م.

18-نور الدين عبد الرحمان الجامي، نفحات الأنس في حضرات القدس، تح: محمد أديب الجادر، دار الكتب المصرية، بيروت، 2003م

19-براون، مرجع سابق، ص 642 وما بعدها.

20-تيّار فكري ظهر في العصر العباسي الأوّل، خاصّة في عهد هارون الرشيد، غير أنّ هارون الرّشيد وابنه محمد الأمين حارباه، ثمّ برز بقوة في عهد الخليفة المأمون الذي كان يؤمن بأفكار المعتزلة، وخاصة قضية خلق القرآن، وقد امتحن أهل السنة امتحانا قويا خاصة الإمام أحمد بن حنبل بعد أن أنكر فكر المعتزلة وقضية خلق القرآن. ينظر: الشهرستاني، مصدر سابق، ص 11.

21 -تنسب هذه الفرقة إلى مؤسّسها أبي موسى الأشعري، وهي فرقة سنّية اتّبعت منهج أهل السنة. ينظر:

الشهرستاني، مصدر سابق، ص 8.

22-واحد من فحول شعراء الفرس، عاش بين 584هـ،691هـ/1184م،1291م. للمزيد عنه ينظر:

براون، مرجع سابق، ص667.

23-نور الدين عبد الرحمان الجامي، بهارستان، تر،تع: أحمد كمال الدين حلمي، دار السلاسل للطباعة والنشر،الكويت، 1406هـ،1986م، ص10.

24- الجامي، بهارستان، ص30

25-من أشهر الرسّامين في العصر التيموري، ولد على الأرجح عام 844هـ/1440م. بلغ فن التصوير في عهده مكانة عالية، وكان كثير الحضور لمجالس السلطان حسين بايقرا وكثيرا ما كان يلتقي بالجامي.

26 -عفاف صبرة، نجوى كيري، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الاسلامي دراسة حضارية، ط1، زهراء الشرق،2009، ص 287.

27-الجامي، بهارستان، ص 29

28-نفسه، ص 30

29-نفسه، ص 30.

30- نور الدين عبد الرحمان الجامي، لوائح الحق ولوامع العشق، تر: علاء الدين منصور، المجلس الأعلى للثقافة، د،م،ن،2003م، ص43.